﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾

[طه: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تعظيمُ شأنِ اللهِ تعالى بذكرِ عظيمِ خلقِه وملكِه

لَمَّا ذكرَ اللهُ تعالى سَعةَ ملكِه، وأنَّه هو المالكُ لهذا الخلْقِ، ولَمَّا كان المَلِكُ قد لا يكونُ مالِكًا؛ قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾، فقرَّرَ ملكَه تعالى وعظيمَ سلطانِه على جميعِ خلقِه[1].

وأيضًا لَمَّا ذَكَرَ تَعالى أنَّه خلقَ السّماواتِ والأَرْضَ، وأنَّهُ اسْتَوَى على العَرْشِ؛ ذَكَرَ أَنَّهُ تَعالى لَهُ مُلْكُ جَميعِ ما حوتِ السّماواتُ وما في الأَرْضِ وما بَيْنَهُما وما تَحْتَ الثَّرى[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾: يدورُ معنى الكلمة على تخلُّل النّدى ونحوه أثناءَ جرم باسترسالٍ، كالماء في أثناء تراب الثَّري النَّديّ، والثَّرى اسمٌ للتّراب النّديِّ، فإن لم يكن نديًّا؛ فهو ترابٌ، ولا يقال له حينئذٍ: ثرى، وقد ثَريت الأرض: نَديَتْ ولانت بَعْد الجُدوبة واليُبْس، وأَثْرَى المَطَرُ: بلَّ الثَّرى، وثَرَّى فُلانٌ التّرابَ والسَّويقَ؛ إذا بَلَّه، ويُقالُ: ثَرِّ هَذا المكانَ، ثُمَّ قِفْ عليْه، أَي: بُلَّهُ، وأَرض مُثْرِيَةٌ؛ إذا لَم يجِفَّ ترابُها[3]، و﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ بمعنى ما تحت الأرض ممَّا هو في باطنِها[4].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

إيجازُ ذكرِ جميعِ خلقِ اللهِ تعالى في هذه الآية

يقول اللهُ تعالى ذكره: للّه وحْدَه مُلكُ جَميعِ ما في السّماوات،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 269.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 312.
(3) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ثري).
(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 350.

وجميعِ ما في الأرضِ، وما بينَهما وما تحتَ التُّرابِ ممَّا في باطِنِ الأرضِ مِنَ المخلوقاتِ، وهو المتصَرِّفُ فيهم بتدبيرِه ومشيئتِه وحْدَه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفصلِ في الآية:

الاستدلالُ على كمالِ قُدرةِ الله وإرادتِه

جاءتِ الآية على طريق الفصلِ لكمالِ الاتِّصال؛ تفصيلًا لِما دلَّ عليه خلقُ اللّه تعالى للأرضِ والسّماوات العلا من أنَّهما ملكُ اللّه تعالى، ففصَّل ببيان ملكِه سبحانه؛ ليكونَ الكلامُ من بابِ التَّفصيل بعدَ الإجمال، وفيه تقريرٌ للمعنى وتأكيدٌ له، كما أنَّ الآية جاءت كالدّليل على الآية السَّابقةِ، أي: على كمال قُدرته وإرادته[1]، فتكونُ الآية بيانًا وإيضاحًا لِما سبقَها.

بلاغةُ تقديمِ المسنَدِ ﴿لَهُۥ﴾ على المسنَدِ إليه:

الله تعالى وحدَه المتصرِّفُ في هذا الكونِ المدبِّرُ له

أفاد تَقديمُ الجارِّ والمجرورِ الواقعِ مُسندًا في قولِه: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ التَّخصيصَ بطريق القصرِ، ليفيدَ تخصيصَ ملكِ كلِّ المخلوقاتِ والتَّصرُّفِ بها إحياءً وإماتةً وإيجادًا وإعدامًا به سبحانه، أي: له تعالى وحده دون غيره، ولا شريكَ له سبحانَه، وفي مجيء الكلام بطريق القصرِ ردٌّ على زَعْمِ المُشْرِكينَ أَنَّ لِآلِهَتِهم تصرُّفاتٍ في الأَرْضِ، وأَنَّ لِلْجِنِّ اطِّلاعًا على الغَيْبِ، ولِتَقْريرِ الرَّدِّ ذُكِرَتْ أَنْحاءُ الكائِناتِ، وهيَ السّماواتُ والأَرْضُ وما بَيْنَهُما وما تَحْتَ الثَّرَى[2].

فائدةُ مجيءِ المُسندِ إليه اسمًا موصولًا:

قصورُ الخلقِ من النَّاسِ وغيرِهم عن الإحاطةِ بجميعِ مخلوقاتِ الله

لَمَّا كان السّياقُ في بيانِ عمومِ ملكِه تعالى وعمومِ مطلقِ تدبيرِه وتصرُّفه في الخلقِ، وأنَّ الخلقَ لا يملكون منَ الأمرِ شيئًا، ولَمَّا كانت ﴿مَا﴾ اسمًا موصولًا من ألفاظِ العمومِ، وهي من أكثرها عمومًا؛ لأنَّها

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 23.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 5، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 188.

مبهمةٌ تقعُ على كلِّ شيءٍ؛ أشعرَ التَّعبيرُ بقصورِ علْمِنا عنِ الإحاطةِ بجميع المخلوقاتِ المقتضي لعجْزنا، فعبَّرَ هنا بـ﴿مَا﴾ دونَ (مَنْ).

معنَى الظَّرفيَّة:

في قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أفادت ﴿فِي﴾ الظَّرفيَّةَ، للإشعارِ بأنَّه تعالى يملك كلَّ ما تحويه السَّماواتُ، وأنَّه تعالى هو المتصرِّفُ والمتمكِّنُ فيه وعبَّر بـ﴿فِي﴾ مع ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ - مع أنَّ المرادَ ما على الأرضِ وما فيها ممَّا يليها - ؛ للإشعار بتمكُّن ملكِه وتصرُّفِه في كلِّ الذي على الأرضِ.

لا مُتصرَّفَ ولا متمكِّنَ في هذا الكونِ سوى الله تعالى

دلالةُ العطفِ في قوله: ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

يفيد العطفُ المغايرةَ بين جنسِ ما في السّماوات وجنسِ ما في الأرضِ، كما يفيدُ التَّشريكَ في الحكم، بمعنى إثباتِ ملكِ الأرضِ وما فيها له تعالى وقصْرِه عليه.

اختلافُ السّموات عنِ الأرض، ولكنّ الكلَّ من خلقِ الله وخاضعٌ لله

نُكتةُ تقديمِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

قدَّم ذكرَ السّماواتِ على الأرضِ في هذه الآية بخلاف التي سبقتْها؛ لأنَّ هذه الآيةَ جاءت إطنابًا في بيان سَعةِ ملك اللّه تعالى وتدبيرِه وتصرُّفه فيه وقصْرِ الأمرِ عليه سبحانه، فلمَّا ذكرَ العرشَ الذي هو أعظمُ المخلوقاتِ وأفخمُها، وذكرَ استواءَه عليه؛ أعقبَه بذكرِ العالَم العُلويِّ، وهو السّماواتُ لظهور أمرِ الملك فيه أكثرَ من غيرِه؛ لأنَّه أوسعُ من ما في الأرضِ وما تحتَ الثَّرى.

العالَمُ العلويُّ وهو السّماواتُ أوسعُ من ما في الأرضِ وما تحتَ الثَّرى

نُكتةُ إفرادِ الأرضِ وجمعِ السّماوات:

القرآنُ الكريمُ دائمًا ما يُفردُ الأرضَ، ويجمعُ السّماواتِ، وقيل في سبب ذلك: إنَّ الأرض واحدةٌ، والسّماواتِ سبعةٌ، وإنَّ ما ورد في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12] لا يدلُّ على مثليَّة العددِ، وإنَّما مثليَّة الإتقانِ والإبداع.

الأرضُ جرمٌ واحدٌ، والسّماواتُ طبقاتٌ متعدّدةٌ

بديعُ الطِّباق بين ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾:

ورد الطِّباقُ في ذكر ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ على سبيل المقابلةِ بين الأسفل والأعلى لتنبيه المخاطَبين إلى سَعةِ خلقِه وعظيمِ قدرتِه، وللإشعارِ بأنَّ من هذا شأنُه لا يكونُ إلَّا إلهًا واحدًا أحدًا، فينبغي توحيدُه بالعبادة وتعظيمُ القرآنِ الذي نزَّله.

مَنْ خلقَ (السّماواتِ) و(الأرضَ) لا يكونُ إلَّا إلهًا واحدًا

دلالةُ العطفِ في قوله: ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾:

أفاد العطفُ المغايرةَ في جنسِ ما في السماوات وما في الأرض عن ما بينهما، كما أفاد التَّشريكَ في الحكم، بمعنى إثباتِ ملك ما بين السماوات والأرضِ للّه تعالى، وقصرَه عليه، فيتناولُ كلَّ ما يكونُ بين السّماء والأرضِ منَ الهواء ومن عجائب المخلوقاتِ التي لا تُحصى.

بين السّماواتِ والأرضِ مخلوقاتٌ أخرى لا عدَّ لها ولا حصْرَ

نُكتةُ تتابعِ التَّعبير بـ(ما) في الآية:

تتابعَ ذكرُ (ما) أربعَ مرَّات في الآية، لتفيدَ شمولَ ملكِه العظيمِ الذي لا يخرجُ عنه شيءٌ، ولبيانِ أنَّ أجناسَ المخلوقات مختلفةٌ في كلِّ موضعٍ منَ المواضعِ المذكورةِ، فما في السّماوات منَ المخلوقات يختلفُ عن ما في الأرضِ، وهما يختلفان عنِ الذي بينهما، وكلُّ نوعٍ ممَّا ذُكِرَ يختلفُ عنِ الذي تحتَ الثَّرى، فيكونُ عطفُ ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ على ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ لِلاختلافِ في جنسِ المخلوقاتِ ونوعِها التي تكون تحتَ الثَّرى من أعماقِ الأرضِ وباطنِها، وقيل: عطفُ ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ على ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ لزيادة التّقريرِ؛ لأنَّ ﴿فِي﴾ تفيد الظَّرفيَّةَ[1].

تنوُّعُ أجناسِ المخلوقاتِ مع انتظامِها دليلٌ على الألوهيَّة والوحدانيّة

دلالةُ قولِه: ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾:

لَمَّا كان لفظُ ﴿تَحۡتَ﴾ منَ الظّروف المكانيّةِ المبهمةِ التي لا حدودَ لها؛ أفاد التَّعبيرُ بـ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ دخولَ كلِّ ما هوَ باطنُ الأَرْض[2].

كلُّ ما في باطنِ الأرضِ هو ممَّا تحتَ الثَّرى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 5.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 188.

معنى (أل) في ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾:

استغراقُ اللّفظ لـكـلّ مـا على الأرض من ترابٍ

أل هنا جنسيةٌ بمعنى جنسِ التُّراب المبتلِّ، فلا يقصدُ ترابًا دونَ آخر، فيستغرقُ اللفظُ كلَّ الثَّرى الذي على الأرضِ، وذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾ الطبقةُ التُّرابيَّةُ منَ الأرضِ، وهي آخرُ طبقاتِها[1].

نُكتةُ التَّعبير بلفظِ ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾:

آثـارُ رحمةِ الله بخلقِه ونعمتِه عليهم

في التَّعبير بـ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾ دون التُّرابِ تنبيهٌ إلى أثر رحمةِ اللّه ونعمتِه على عبادِه، بأنْ جعلَ هذا التُّرابَ مبتلًّا[2]، ومن عادة التراب المبتلّ أن يكون تحت الطّبقة السّطحية من الأرض، فالتراب فوقَ الثّرى، والثرى في باطنه من المخلوقات العديدة ما هُو أضعافُ أضعافِ ما في التراب الجافّ، والذي تحت الثرى مما في باطن الأرض هو ممّا لا يعلم به إلا اللّه تعالى، ويشمل عوالم الدنيا من مخلوقات وعوالم البرزخ من قبور ومدفونات.

بلاغةُ التَّعبيرِ بفائدةِ الخبرِ ولازمِها في الآية:

دعـــــوةٌ إلى الانـتـفـاع ممَّا هـيّـأه الـلـه على هـذه الأرض من منافعَ

فائدةُ الخبر في قوله ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ إثباتُ أنَّ ما في السّماوات وما في الأرضِ وما بينهما وما تحت الثرى كلُّه ملكٌ له وفي قبضته، وتحت قهره وقدرتِه وأمرِه، ولا يمتنِع شيءٌ منه عمَّا يصرِّفه عليه، ولازمُها حثُّ الخلقِ على أن يصرفوا طمعَهم ورجاءَهم منَ الخلق إلى خالقِهم، وألَّا يُطمعَ، ولا يُرجى غيرُه سبحانه، والتَّنبيهُ على الخالق المنعم، وأنَّ كلَّ موجودٍ محدَثٍ هو للّه بالملكِ والاختراعِ، ولا قديمَ سواه تعالى، فما على الإنسان العاقلِ إلَّا أن يسلِّمَ وجهَه للّه، بصفته جزءًا من هذا العالَمِ الفسيحِ المملوكِ للّه تعالى، وكأنَّه سبحانه يلفتُ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 23.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ثري).

أنظارَ خَلْقه إلى ما في الكون من مُقوِّمات حياتِهم المادّيةِ ليبحثوا عنها، ويَستنبطوا ما ادَّخره لهم من أسرارٍ وثرواتٍ في السّماوات وفي الأرض وتحت الثَّرى[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الثَّرى والتُّراب:

الثرى هو التراب المبتلّ

الثَّرى هو التُّرابُ النَّديُّ، أو الَّذي إذا بُلَّ؛ لم يصِرْ طينًا، ولهذا يقال: ثَرَّى فُلانٌ التُّرابَ والسَّويقَ؛ إذا بَلَّه بللًا خفيفًا، ويُقالُ: ثَرِّ هَذا المكانَ، ثُمَّ قِفْ عليْه، أَي: بُلَّهُ، وأَرضٌ مُثْرِيَةٌ إذا لَم يجِفَّ ترابُها، ويقال أيضًا: مَكانٌ ثَرْيانُ وأَرض ثَرْيا؛ إذا كانَ في تُرابِها بَلَلٌ ونَدًى، وأمَّا التُّرابُ؛ فهو معروفٌ ممَّا يكونُ على ظاهر الأرضِ، ويكونُ جافًّا[2].

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 270، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 37، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 15/ 9219.

(2) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ترب، ثرى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»